بترا زيّون

تراتيل

هايكو

منشورات الرمل

بترا زيّون
تراتيل

بترا زيون

تراتيل / هايكو

دار التنوير

جميع الحقوق محفوظة ©

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر – 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

لبنان: بيروت – الجناح – مقابل السلطان ابراهيم
سنتر حيدر التجاري – الطابق الثاني - هاتف وفاكس:
009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة–وسط البلد –19 عبد السلام عارف
(البستان سابقًا)–الدور 8–شقة 82

هاتف: 0020223921332 فاكس:
0020227738932

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تابعونا على

Daraltanweer@

Dar Altanweer

daraltanweer

إهداء

إلى من لقنتني شفاهُها الحرفَ

قُبلةً... قُبلةً

وأضاءَ نورُ عينيها خيالي

فكرةً... فكرةً

وزرعَ عبيرَ أنفاسها قلبي

زهرةً... زهرةً

لتورقَ على شرفاته ويضوع السلام.

إلى أمي عايدة الصغير

مقدمة نبذةٌ عن الهايكو

ينحدر شعرُ الهايكو من نوعٍ آخر من الشعر الياباني القديم («الرنغا» القرن الثامن الميلادي)، وهي قصيدة طويلة كانت تبدأ بمقدمة اسمها (الهايكا أو الهوكو)، التي تطوّرت في ما بعد وانفصلت لتصبح نوعًا مستقلًا من الشعر يطلق عليه اسم (الهايكو).

يعد الهايكو (Haiku)، واحدًا من أهم أشكال كتابة الشعر في اليابان، ف(هوكو) حرفيًا تعني مستهل القصيدة وبدايتها، أما إذا كان المستهل أطول يسمى حينها ال(هايكا) - فقصيدة الهايكو تتكوّن من (خمسة مقاطع – سبعة مقاطع – خمسة مقاطع) في ثلاثة أسطر، أي ١٧ مقطعًا صوتيًا، مدة ترتيلها لا تتجاوز مدة النَّفَس الواحد، تمثّل لحظة التنوير التي تسمى «ساتوري» لدى اليابانيين، ومن الصعب ابتكار نمطٍ موازٍ لهذا الشكل في العربية لأن وحدة الوزن العربية هي التفعيلة لا المقطع الصوتي كما في اللغة اليابانية -، ولعمل هكذا قطع باللغة العربية، علينا أن ننهي أحد المقطعين بنقطتي تنصيص (:) أو بشرطة (-).

ازدهر ال (الهايكو) في مرحلته الأولى في القرن ال١٧م، بفضل «باشو» المعلم الأول لهذا الفن بلا منازع، الشاعر والرسام «بوسون» (١٧١٦-١٧٨٣م)، «إيسا - ياتارو كوبایاشي» (١٧٦٣-١٨٢٧)، توضح شكل الهايكو مع «ماسا- أوكا شيكي» (١٨٦٧-١٩٠٢م)، الذي أسس مجلة للهايكو، وجرت من بعده تجارب لتطوير الهايكو

والخروج فيه من التقليدية، فكُتبت هايكوات رمزية وحتى سوريالية، لكنها تعرّضت لنقد شديد بعد انتقال الهايكو للغات أخرى، و» ناتسومي سوسيكي»، هؤلاء الشعراء يعدون من أعمدة هذا الفن. ويرجع تاريخ الهايكو الحديث إلى عام ١٨٩٢م بظهور قصائد الشاعر (سيكو شايكي).

بدأ القارئ العربي بالتعرف على أنماط الشعر الياباني وتقاليده الموروثة منذ وقت قريب لا يتجاوز العقدين تقريبًا.

أبرز شعراء الهايكو الكلاسيكيين، بل معظمهم من الرهبان مما هيّأ المناخ الروحي الذي نشأت منه ثقافة الهايكو. أشهر قصائد الهايكو تتكلّم عن حالات وتفاصيل يومية لكن برؤية جديدة تختلف عن المألوف. تتألف قصيدة الهايكو من مقطعين مستقلّين عن بعضهما من ناحية الشكل، لكنهما متصلان من حيث المعنى، يترك بينهما للمتلقّي حيزٌ خياليّ كي يلج منه إلى القصيدة.

هناك عدة شروط يجب أن تتوفر في النص كي يطلق عليه قصيدة هايكو، يجب أن يحتوي نص الهايكو على دلالة فصلية تشير إلى الوقت الذي كتب به الشاعر القصيدة، يفضل أن تكون الإشارة إلى الفصل غير مباشرة، وهذه الدلالة يطلق عليها كلمة (كيجو- Kigo).

يجب تجنب تشخيص الأشياء والأنسنة فالإنسان ليس مركز الكون بل هو جزء منه، حاله حال بقية الموجودات من تراب وحيوان ونبات ونجوم وسديم.

الابتعاد عن المجاز لحاجة الشاعر إلى الإدراك في حدوده القصوى كي يجسّد تجربته الفريدة هذه بشكل ملموس، لا شيء يشبه شيئًا في حالة إدراك قصوى، فتنتج قصيدة عارية لا يتدخل فيها شيء بين الشاعر وموضوعه، وهذا ما يسمى الابتعاد عن الذاتية. الدهشة في نص الهايكو تواكب لحظة الاستنارة. خلو النص من الدهشة يجعله يندرج تحت السّرد الخبري، أما المفارقة بين الصورتين فتزيد من قوة النص وتعطي بعدًا لمعنى التكامل.

لا يزال مفهوم الهايكو يلفّه الغموض بالنسبة للمتلقّي العربي، لأن نصوص الهايكو التي وصلته كانت مترجمة في الغالب نقلًا عن اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية، فلعبت الترجمة دورًا مهمًا في نقل المعنى منقوصًا، كحال أي ترجمة أدبية، هناك من يعتبر أن الفكرة أساس الهايكو، وهناك من يعتبر أن الهايكو هو نصٌ مجردٌ من أي فكرة معرفية، هو حالة اندماج كلّي مع المشهد.

الهايكو هو الإدراك بالقلب به تسقط الحجب أمام دهشة الروح واستنارة العقل، هو اللغة الكونية التي تربط جميع المخلوقات وترصد الأوجه المتباينة للكائنات، هو الإصغاء للعزف المتناغم الذي تهمس به الطبيعة والاندماج به لتأكيد الوحدة الكلية لجميع الموجودات، هو تجليات للمعرفة بجميع أشكالها اللانهائية، به تُشحذ البصيرة ويتجلى الجمال

ماءٌ

مع جريان النّهرِ
ثابتًا كالحقيقة
يترقْرقُ الضوءُ
على حافَةِ البئرِ
بدلوي
أنْتَشِلُ الصدى
موجةٌ تلوَ موجةٍ
يمتصُّ الرملُ أقمارًا
مِنَ الزَبدِ
جدارُ القلعةِ
ترشقُ أمواجَ البحرِ
ماضٍ بعيدٍ
شاطئُ البحرِ
بقدمينِ عاريتين
تصطادُ الملحَ
عندَ الغروبِ
أمواجٌ ذهبيةٌ
من يحتفظ بنورِ الشمسِ!
دون وجهةٍ محددةٍ
مرفرفًا في شبكةِ الصّيَادِ
ينْفُقُ السمك

أزهارٌ

صلاةُ الفجرِ
مثقلٌ بالنّدَى
ينحني الليلَك
مساءً
أزهارٌ يتخلّلها النورُ
ثوبي الدانتيل
بجانبِ العتبةِ
يضوعُ الجلنارُ
ما أجملَ العبورِ
بالتعرّي
تستعدُّ للشتاء
شجيرةُ الجوريُ
ليلٌ معتمٌ
ناصعةُ البياضِ
ثرثرةُ الياسمينَ
إلى المنزلِ
أنقلُ أزهارَ الحديقةِ
بِريشَتِي
ليلةٌ مقمرةٌ
ستارةُ النافذةِ المعتَّمَة
تفوحُ بعطرِ الياسمينَ
على الجدارِ
الحاجبِ لنورِ الشمسِ

تتسلّقُ أغصانُ اللبلابِ
في حديقتي
حفيفُ أوراقِ شجرةِ الكينا
خطواتُ الرّيحِ
على سورِ حديقتي
فراشةٌ عالقةٌ
أحلامي

أشجارٌ

منفردةٌ بالفجرِ
شجرةُ الصفصافِ
الصاخبةِ بالتغريدِ
حارتي القديمةُ
من شجرةِ الليمونِ
تفوحُ الذكرياتِ
تحتَ شجرةِ التّفّاحِ
صاليةٌ.. من تنتظرَ!
الأفعى
بينَ أشجارِ الصنوبرِ
باهتةَ الزرقةِ
تبدو السماءُ

حزيران

سنابلُ القمحِ
متمايلةٌ على جانِبَي
طريقِ الطاحونِ
قيظُ الظهيرةِ
في الظلِّ
تنشطُ الحشراتُ
تحتَ الشّمسِ
يتناثرُ التّبنُ
بضربةِ منجلِ
ريحٌ شماليةٌ
تلوحُ للطيورِ
فزّاعةُ الحقلِ
أواخرُ الصّيفِ
فزّاعةُ الحقلِ
تحرسُ الفراغَ
حقولُ القمحِ
منحنيةٌ أمامَ الرّيحِ
السنابلُ الممتلئةُ

الشَّمْسُ

وشاحُ برتقاليٌ
تلقيه على الهضابِ
شمسُ المغيبِ
غيابُ الشمسِ
يُغرِقُ في العتمةِ
السفنَ التي لم تصلْ بعدُ
بعدَ الغروبِ
قبسٌ من نورِ الشَّمْسِ
يشعُّ في القناديلِ
أمامَك أيها البحرُ
مع غيابِ الشَّمْسِ
يشرقُ حزني
على الرّصيف البحري
أمنياتٌ بنكهةِ البرتقالِ
تغيبُ الشَّمْسُ
عندَ الغروبِ
ثوبُها الأسود
بدايةُ الليلِ
أمامَ الشمسِ الغاربةِ
كلُّ النوارسِ
مشْحةٌ بالسّوادِ
عند الغروبِ
لقاءُ العاشقينَ

القمرُ والليلُ

فجرٌ ورديٌّ
رويدًا بالنورِ
يغرقُ القمرُ
ضوءَ القمرِ
يكشفُ للغريبِ
رعبَ الطريقِ
ضوءُ القمرِ
على الصخورِ
ينحتُ الظَلامَ
على زُجاجِ النافذةِ
قمرٌ شاحبٌ
وجهها
ليلةٌ صيفيةٌ
بالسبابةِ والإبهامِ
أحملُ القمرَ
آخرُ الليلِ
الريحُ عاتيةٌ
ألا ينزاحَ القمرُ!
منتصفُ الليلِ
كم نجمةٌ ستختفي
لبلوغِ الفجرِ!
أمسية صيفية
نجمةٌ.. نجمةٌ، يفكُ الفجرُ

دثارَ الليلِ
الزقاقُ الخلفيُ
خطواتٌ عابرةٌ
تطرقُ أبوابَ الليلِ
آخرُ الشهرِ
بابتسامةٍ رقيقةٍ
يودّعُنا القمرُ
كالقمرِ
يزيدُ من عتمةِ الليلِ
غيابُه
فوقَ أزهارِ الكرزِ
مشعةٌ بالنورْ
غيمةٌ تواري القمرَ
دائمًا
المعبرُ مظلمٌ
نحوَ القمرِ
ليلٌ دامسٌ
يُخفِّفُ من وحشتهِ
نباحُ الكلابِ
ليلةٌ هادئةٌ
وهجُ الشمعةِ
فراشةٌ تحترقُ

ضبابٌ ورياحُ

صباحَ يومِ الأحدِ
الضبابُ المحيطُ بالكنيسةِ
ممتلئٌ بالرنينِ
ليلُ كانونَ
متجمِّدٌ في الضبابِ
نورُ المصابيحِ
هذا الطريقُ
يضيعُ في الضبابِ
ألتقطُ أنفاسي
إلى نصفينِ
يقسمُ الجبلُ
ضبابَ الصباحِ
أزهارُ الكرزِ
تسقطُ بلا ظلٍّ
تلتقطها الريحُ
هدأتِ الريحُ
لا تملكُ سوى الانتظارِ
أشجارُ التفاحِ المزهرةِ
صباحٌ باردٌ
تخطفُ الريحُ
صوتَ العصافيرِ
ليلةٌ عاصفةٌ
تقتلعُ الريحُ

غفوتِي
في مهبِّ الريحِ
أعوادُ الخيزرانِ
خطوات جدي
وحدَها
الأبوابُ القديمةُ
تشرّع دفّتَيها للرياحِ
نوافذي المغلقةُ
لا تمنعَ عنِّي
صفيرَ الريحِ

غيومٌ

تنحسرُ الغيومُ
يسطعُ القمرُ
في البحيرةِ
يومٌ ربيعيّ
رغمَ خفَّتها
ثقيلةُ الغيومِ
رغمَ بُعدِها
تلوّنُ البحرَ
السماءُ الصافيةُ

خريفٌ ومطرٌ

برقصةٍ مولويةٍ
يواري الغيابُ
أوراقَ الخريفِ
غروبٌ
ظلالُ المطرِ
ابتساماتٌ عابرةٌ
على الغصنِ
متلألئةٌ مع المطرِ
ورقةُ خريفٍ
فجرٌ خريفيٌ
يتناثرُ الريشُ
بطلقةٍ
أوراقُ الخريفِ
بقطراتِ المطرِ
يبدأُ الموتُ
غروبٌ
بلونِ الشّمسِ
تسقطُ أوراقَ الخريفِ
غروبٌ خريفيٌّ
وحيدةٌ على تلكَ الهضابِ
أشجارُ السروِ
على شرفتي
أوراقٌ خريفيةٌ يابسةٌ

تمرُّ الذكرياتُ
ظلُلنا والسماءُ
في ماءِ المطرِ
تطفو أوراقُ الخريفِ
في هذهِ العتمةِ
من مصابيحَ الشارعِ
يهطلُ المطرُ
أشجارٌ مبللةٌ
نقطةً.. نقطةً
ينقضي الليلُ
ليلةٌ مظلمةٌ
زخاتُ مطرٍ
تبدّدُ العتمةَ
أمسيةٌ دافئةٌ
في صوتِ المطرِ
يغرقُ الليلُ
على نافذتي
منتشيةً تتلاشى
قطراتُ المطرِ
تلوحُ بعطشٍ
يكفي نقرًا على نافذتي
أيها المطرُ

ثلجٌ

بلمسةٍ دافئةٍ
تفقدُ لونَها
ندفُ الثلجِ
كلُّ هذا الثلجِ
على الأغصانِ
التي ستزهِرا!
شوارعُ المدينةِ
صامتةٌ
ندفُ الثلجِ
على الجدارِ
تتجمّدُ أصابعي
والفراشاتُ أيضًا
ماسيةُ ندفُ الثلجِ
على الفراء الأسودِ
لهرةٍ نافقةٍ
أسطعَ من الشَّمسِ
على امتدادِ التلالِ
يشرقُ الثلجُ
الجبالُ المكلّلةُ بالثلجِ
كم تحتاجُ من الدفءِ
كي تفيضَ الينابيعُ!

طيورٌ

انبلاجُ الفجرِ
يكسو النورُ
بجعَ البحيرةِ
بحيرةُ البجعِ
لوتس محلّقٌ
راقصاتُ الباليه
سربٌ من البجعِ
يرتجفُ القمرُ
على سطحِ البحيرةِ
محطةُ القطارِ القديمةِ
يرحلُ الصيفُ
برفقةِ البجعِ
أفقٌ رماديّ
إشارةُ نصرٍ سوداءَ
تحلّق الطيورُ المهاجرةُ
خارج القفصِ
تغرّدُ الطيورُ
تبًا لأفكاري
في حقلِ الذرةِ
ثمةَ دوريٌّ
تغرّد الريحُ
في الحربِ
صوتُ النوارسِ

جثثٌ طافيةٌ
على الفحمِ
صيدٌ وفيرٌ
للموتِ رائحةُ الشواءِ
بغيابِ القمرِ
يعرفُ طريقَه جيدًا
طائرُ الليلِ
بدايةُ المساءِ
يضيءُ النجومَ
نعيقُ بومٍ
على حافّةِ المدخنةِ
دون توقُّفٍ
يغرِّد الدوريُّ
بزوغُ الفجرِ
تتناثرُ طيورًا
شجرةُ السروِ

الحبُّ

زهرة الأكاسيا[1]
في الضبابِ
تنيرُ بصيرتِي
ليلةٌ دون قمرٍ
مع شذى القرنفلِ
يتلاشى البوح
نسائمُ الفجرِ
تدمعُ عينيَّ
كأنت
بعيدًا في الأفقِ، نجمتان
واحدةٌ لأمنياتي
والثانية أنتَ
تحتَ شجرةِ التفاحِ
عيناه
قانونُ الجاذبيةِ
بيني
وبين منزلِهِ
تلك المسافاتِ
بصفَّينِ من اللؤلؤِ
يمضغُ العنبَ
ريانَ هذا الرِّضابِ
من وردةِ جوريةِ
في يدهِ

أتنشَقُ أنفاسَه
بيدهِ عقدٌ من الفلِّ
يتلألأُ الندى
على عنقي
يرميني بالياسمينَ
عابقًا يفوحُ
الشوقُ
على نافذته
توليب أحمرُ
يذبلُ بوحي
حبلُ الغسيلِ
ينشرُ الفراغَ
غيابُه
حبلُ الغسيلِ
ينشرُ الحزنُ
ثيابَها الداكنة

---

1 الأكاسيا: زهرة الحب غير المعلن.

في المقهى

أطباقٌ فارغةٌ
بانتظارِ النادلِ
يلتهمُ حضوري
كأسٌ من الماءِ
بين يديهِ
ينتابني العطشُ
نورُ القمرِ
يجودُ بالقصائدِ
على عنقهِ
ليسَ في السماءِ
في جبينهِ
يتألّقُ القمرُ!
هي الفتنةُ!!
شبه الابتسامةِ
على زاويةِ فمهِ
في خمسةِ أزرارِ
وقميصٌ من الحريرِ
يحتجبُ محرابَ صلاتي
جلجامش!!
هنا الخلود
يدي على صدرهِ
صليبٌ فضيٌ
على صدرهِ

تحلو دموعي المالحة
كتابٌ بين يديه
صفحةً.. صفحةً
يقرأني
المقهى الفارغُ
شاحبٌ برحيلِ العشّاقِ
ضوءُ القمرُ

رقصٌ

بأصابعَ مرتعشةٍ
يغمُرني بالشوقِ
عازفُ النايَ
لحنٌ شرقيٌّ
ينبضُ العودُ
خصورًا متمايلةً
على ظهرِها
تحلِّقُ فراشةٌ
موشومةٌ
شذى البخورِ
على صدرِها
يترنَّحُ الخرزُ
غمزةُ عينها
سهمٌ يصطادُ
ابتسامتَهُ

غيشا[2]

قمرٌ شاحبٌ
تحتَ المظلّةِ
غيشا تبحثُ عن الحبّ
على ثغرِها
بغيرِ أوانِها
تنضجُ حباتُ الكرزِ
مكلّلٌ بالزهورِ
ليلٌ على وشكِ الهبوطِ
شعرها
سبعة عشر لحنًا
بتمايُلِها يعزفُ
الكيمينو
تُقدِّمُ الساكي
ريانةً
يدُها البيضاء
خلفَ قناعِها الأبيضِ
دمعةٌ
تتجلّى رقصًا

---

2 الغيشا: هن فنانات تقليديات في اليابان، يمارسن دور مضيفات، يمتلكن مهارات في الفنون المسرحية اليابانية المختلفة مثل الموسيقى الكلاسيكية والرقص والألعاب.

خمرٌ

رغبةٌ في الانعتاقِ
تصفو في الخوابي
عناقيدُ العنبِ
رنينُ الكأسِ
تعزفُ أصابعي
لحنَ الانتظارِ
في قعرِ الكأسِ
قطراتُ خمرٍ
نشوتِي
غروبُ الشَّمسِ
كأسُ خمرٍ
ويضيءُ ليلي

طفولةٌ

صباحُ العيدِ
يفوحُ البخورُ
في المقابرِ
بيني وبين أبي
وردٌ
وشاهدةُ قبرِ
رخامَ القبرِ
باردٌ كالجليدِ
دمعيَ المتحجّرِ
في المقبرةِ
دعوةٌ للنومِ
الترابُ الناعمُ
وحيدةٌ
على طرفِ القبرِ
زهرةُ الخزامى
أشعةُ الشمسِ
أكثرُ دفئًا
على قبرِ أبي
بقبلةٍ منها
تمتصُّ أُمّي
أحزاني
لا سرَّ في طعامِ أمّي
مع كلِّ ملعقةٍ

قبلةٌ
وجهُ أمّي
قمرٌ يضيءُ
ليلَ حكاياتِها
في المنزلِ الريفيِّ
خطواتٍ
يرسُمُها الغبارُ
المنزلُ الريفيُّ
أرجوحةٌ للريحِ
شباكُ العنكبوتِ
المنزلُ الريفيُّ
فارغٌ تمامًا
إلا مِنَ الصّدَى
المنزلُ الريفيُّ
على الجدرانِ المتصدِّعَةِ
أشعةُ الشَّمسِ
المنزلُ الريفيُّ
تجتمعُ العائلةُ
في ألبومِ الصّوَرِ
صياحُ الدّيكِ
خلفَ الضبابِ
جدّتِي الميّتَةِ

فاكهةٌ

عنقودٌ من العِنَبِ
حبةٌ.. حبةٌ
أرتجلُ الهايكو
بين يديّ
مبعثرٌ كالوقتِ
ينفرطُ الرمانُ
بجفافها وتجعُّدِها
تزدادُ حلاوةً
حبةُ زبيبٍ
على الرّفِّ
في علبةِ الشوكولا
ابتسامةُ طفلي
فنجانُ قهوتي
باردٌ
أحتسي الوقتَ
قفيرُ نحلٍ
أشدُّ حدةً من اللسعِ
طعمُ العسلِ

على الرَّصيفِ

على الرصيفِ
عابرُ سبيلٍ
ينقضي النهارُ
في الشارعِ
تصدُمُني بقوةٍ
نظرةُ متسوِّلٍ
بأذنيهِ
يعدُ النقودَ
متسوِّلٌ أعمى
تحتَ مصباحِ الشارعِ
تتوهُ في الظلامِ
بائعةُ الهوى

تانكا

عاليًا
تحملُ صدَى الهديلِ
أجنحةُ الحمامِ
أنا الهديلُ المتلاشي في صمتِكِ
وأنتِ رفيفُ الحمامِ
عصفورٌ تلوَ الآخرِ
ينقرُ نافذتي
الفجرُ
على رموشي يترنّح الليلُ
وفي قلبي القمرُ
جبينهُ الحارُّ
حدُّ الارتواءِ
يغرقُ دموعي
أنتِ الحقيقةُ والباقي ترفٌ
تُرَنِّمُ الأمُ بعد منتصفِ الليلِ
بالنارِ
يزدادُ صلابةً
إناءُ الفخارِ
نورٌ ونارٌ تتألقُ عشتارُ
طوبى للاكتشافِ الأولِ
قبل أن تخمُدَ
الشمعةُ في يدي
تحدِّد وجهةَ الريحِ

ممتلئةً بالحياةِ أتابعُ الطريقَ
رقيقٌ كالنسيمِ يتسللُ الموتُ
في مدفأتي
على صوتِ الحطبِ
ترقصُ النارُ
أنا روحٌ تسمو بالألمِ
جسدي النضر قربان ألوهيتي
ظلامٌ دامسٌ
حذرة ألمسُ
الفراغَ
باتِّساع الأحداقِ
تنعدمُ الرؤيةُ
مطرٌ غزيرٌ
صاخبة بالموسيقى
ترتوي الأرضُ
هو الروحُ
فكيفَ للجسدِ أن يحيا بدونِه
على الجدارِ
صلبةٌ.. باردةٌ
ظلالُ الغارديانيا
في عطرِها العابرِ
يورقُ الماءُ
يومًا ما
سيتثاءبُ هذا الفراغُ

ويبتلعُ الجميعَ
وحدها في مهبِّ الريحِ
ريشةُ غرابٍ متهاويةٍ
من تنتظرَ
طوالَ الليلِ
أيها القمرُ!
الفجرُ موعدُها
نجمةُ الصبحِ